

اُعلیٰ

قصائی

تزارقبانی

قراءة ممتعة

مع تحيات يحيى الصوفي

مؤسس ورئيس تحرير موقع

القصة السورية
Syrian Story

الطبعة السادسة عشر

١٩٩٢ م

هذه المختامرات

أحلى قصائدي !
هل هذا ممكن ؟ وهل يستطيع شاعر على وجه الأرض أن يقرر بمثل
هذه السهولة والرعونة ، ما هي أحلى قصائده .
وإذا كانت القصائد التي اخترتها هي أحلى القصائد من وجهة نظري ،
فهل هي كذلك بالنسبة للآخرين ؟
إن ذوق الشاعر ، على أهميته ، يبقى ذوقه الخاص ، وارتباطه الشخصي
ببعض قصائده ، والظروف التاريخية والنفسية والإنسانية التي كتب تحت
تأثيرها هذه القصائد ، تلعب دوراً رئيسياً في لعبة الاختيار .
إن ورائي ثلاثين عاماً من التجارب الشعرية ، وأمامي عشرون كتاباً هي
تذكرة ميلادي ، وجواز سفري ، وعمرى كله .
فكيف أستطيع أن ألتقط من هذا البحر ، ثلاثين صدفه أقول عنها إنها
البحر ..
وكيف أسمح لنفسي أن ألتقط من الشمس ثلاثين شعاعاً وأدعي أنني
سرقت النار ؟ ..
إن كل عملية اختيار بحد ذاتها مرعبة . وعملية اختيار الشعر ممن كتبه
هي ذروة الرعب ..
وإذا كان لا يستحيل على الإنسان أن يختار أثوابه ، وعطوره وأثاث بيته
، ولون ستائره ، فمن المستحيل عليه أن يختار انفعالاته ..
الشعر هو أرض الانفعال .
هو وطن الأشياء المنقلبة دائماً على نفسها ، والأشكال الهاربة من شكلها
.
وعلى هذه الأرض الحبلى بالدهشة والمفاجآت ، لا ثبات لشيء ، ولا
يقين لشيء ..
فكيف يختار الشاعر حصانه بين ألوف المتسابقة على حدقتي عينيه ؟ .
الاختيار كان دائماً يعذبني . والتمييز بين هذه القصيدة وتلك ، كان دائماً
وجعي الأكبر .
وبالرغم من طول صحبتي للشعر ، وسكناي معه وفيه ، فإنني كلما
دعيت إلى أمسية شعرية ، أقف أمام أوراقى خائفاً ومتردداً كالطفل عشية
الامتحان .
إن فكرة إصدار مختارات شعرية لي فكرة قديمة . ولكنني كنت دائماً
أؤجلها وأخشأها ، كما يخشى المتهم قرار المحكمة .

إلا أن مواجعتي اليومية للجمهور . ووقوفي أمامه فاعلاً ومنفعلاً وردود
الفعل المختلفة التي كانت تواجه بها قصائدي . أكسبتني بعض الخبرة في
معرفة القصائد – المفاتيح في شعري . وأعني بالقصائد – المفاتيح . تلك
القصائد التي تركت ورائها أسئلة .. وحرائق .. وناراً .. ودخاناً .
واليوم . وقد قررت أن أدخل قاعة المحاكمة . أود أن أهمس في آذان
المحلفين . إن اختيار بضعة أشجار من غابة . لا يمثل حقيقة الغابة . وأن
قطف ثلاثين زهرة . ووضعها في أنية .. فيه ظلم كبير للبستان ..

نزار قباني

نيسان ١٩٧١

إختاري

إني خيرٌك .. فإختاري
ما بينَ الموتِ على صدري ..
أو فوقَ دفاترِ أشعاري ..
إختاري الحبَّ .. أو اللاحبَّ
فجُبْنُ ألا تختاري ..
لا توجدُ منطقةً وسطى
ما بينَ الجبَّةِ والنارِ ..

*

إرمي أوراقكِ كاملةً ..
وسأرضى عن أيِّ قرار ..
قولي . إنفعلي . انفجري
لا تقفي مثلَ المسمار ..
لا يمكنُ أن أبقى أبداً
كالقشة تحتَ الأمطار
إختاري قدراً بين اثنين
وما أعنفها أقداري ..

*

مُرَهقة أنتِ .. وخائفة
وطويلٌ جداً .. مشواري
غوصي في البحر .. أو ابتعدي
لا بحرٌ من غير دوار ..
الحبُّ .. مواجهة كبرى
إبحارٌ ضدَّ التيار
صلبٌ .. وعذابٌ .. ودموعٌ
ورحيلٌ بينَ الأقمار ..
يقتُلني جبُّك .. يا امرأة
تتسلَّى من خلفِ ستار ..
إني لا أؤمنُ في حبٍّ
لا يحملُ نزعَ الثوار ..
لا يكسرُ كلَّ الأسوار
لا يضربُ مثلَ الإعصار ..

آه .. لو حبُّك يبلعني
يقلعني .. مثلَ الإعصار ..

*

إنِّي خيرتك .. فاختاري
ما بينَ الموتِ على صدري
أو فوقَ دفاترِ أشعاري
لا توجدُ منطقةٌ وسطى
ما بينَ الجنةِ والنَّار ..

مرسالة من تحت الماء

إن كنتَ صديقي .. ساعدني
كي أرحلَ عنكَ ..
أو كُنتَ حبيبي .. ساعدني
كي أشفى منك
لو أنَّي أعرفُ أنَّ الحبَّ خطيرٌ جدًّا ..
ما أحببت
لو أنَّي أعرفُ أنَّ البحرَ عميقٌ جدًّا
ما أبحرت ..
لو أنَّي أعرفُ خاتمتي
ما كنتُ بدأت ...

إشتقتُ إليك .. فعلمني
أن لا أشتاق
علمني ..
كيف أقصُّ جذورَ هوائكَ من الأعماق
علمني ..
كيف تموتُ الدمعةُ في الأحداق
علمني ..
كيف يموتُ القلبُ وتنتحرُ الأشواق

*

إن كنتَ نبياً .. خلصني
من هذا السحر ..
من هذا الكفر

حبك كالكفر .. فطهرني
من هذا الكفر ..
إن كنتَ قويًّا .. أخرجني
من هذا اليمِّ ..
فأنا لا أعرفُ فنَّ العوم
الموجُ الأزرقُ في عينيك .. يُجرِّئني نحوَ الأعماقِ
وأنا ما عندي تجربةٌ
في الحبِّ .. ولا عندي زورق ..
إن كنتُ أعزُّ عليك .. فخذ بيديَّ
فأنا عاشقةٌ من رأسي .. حتَّى قدَميَّ
إني أتنفَّسُ تحتَ الماء ..
إني أغرق ..
أغرق ..
أغرق ..

نهر الأحران

عيناك .. كنهري أحران
نهري موسيقى حملاني
لوراء .. وراء الأزمان
نهري موسيقى قد ضاعا
سيديتي ، ثمَّ أضاعاني
الدمعُ الأسودُ .. فوقهما
يتساقطُ أنغامُ بيان
عيناك .. وتبغي .. وكحولي ..
والقدحُ العاشرُ أعماني
وأنا في المقعدِ .. محترقُ
نيرانني تأكلُ نيرانني
أقولُ أحبك .. يا قمري؟
أه لو كان بإمكانني
فأنالَ أملكُ في الدنيا
إلا عينيكَ .. وأحزاني
* * *

سفني في المرفأ باكية

تتمزق فوق الخلجان
ومصيري الأصفر حطمني
حطم في صدري إيماني
أسافر دونك ليلاكتي
يا ظلل الله بأجفاني
يا صيفي الأخضر .. يا شمسي
يا أجمل .. أجمل ألواني
هل أرحل عنك؟ وقصتنا
أحلى من عودة نيسان
أحلى من زهرة غاردينيا
في غمة شعر إسباني
يا حبي الأوحده .. لا تبكي
فدموعك تحفر وجداني
إنني لا أملك في الدنيا
إلا عيني .. وأحزاني

* * *

أقول أحبك .. يا قمري
آه لو كان بإمكانني
فأنا إنسان مفقود
لا أعرف في الأرض مكاني
ضيّعني دربي .. ضيّعني
إسمي .. ضيّعني عنواني
تاريخي؟ مالي تاريخ
إنني نسيان النسيان
إنني مرساة لا ترسو
جرح بلامح إنسان
ماذا أعطيك؟ أجيبني
قلقي؟ الحادي؟ غثاني؟
ماذا أعطيك سوى قدر
يرقص في كف الشيطان
أنا ألف أحبك .. فابتعدي
عني .. عن ناري ودخاني

فأنا لا أملك في الدنيا
إلا عينيكَ .. وأحزاني

شؤون صغيرة

- ١ -

شؤون صغيرة
تمر بها أنت .. دون التفات
تساوي لدي حياتي
جميع حياتي..
حوادث .. قد لا تثير اهتمامك
أعمر منها قصور
وأحيا عليها شهور
وأغزل منها حكايا كثيرة
وآلف سماء .. وآلف جزيره
شؤون .. شؤونك تلك الصغيره ...
* * *

- ٢ -

فحين تدخل أجثو أمامك
كقطتك الطيبه ..
وكلي أمان
الاحق مزهوه معجبه
خيوط الدخان
توزعها في زوايا المكان
دوائر .. دوائر
وترحل في آخر الليل عني
كنجم، كطيب مهاجر
وتتركني يا صديق حياتي
لرائحة التبغ .. والذكريات
وأبقى أنا .. في صقيع انفرادي ..
وزادي أنا .. كل زادي
حطام السجائر ..
وصحن .. يضم رمادا ..

يضم رمادي...

* * *

- ٣ -

و حين أكون مريضه ..
وتحمل أزهارك الغالية
صديقي ، إلي
وتجعل بين يديك يدي
يعود لي اللون والعافيه
وتلتصق الشمس في وجنتي
وأبكي .. وأبكي .. بغير إرادته
وأنت ترد غطائي علي
وتجعل رأسي فوق الوساده
تمنيت كل التمني .. صديقي .. لو أني ..
أظل .. أظل عليه ..
لتسأل عني ..
لتحمل لي كل يوم وروداً جميلاً .

* * *

- ٤ -

وإن رن في بيتنا الهاتف
إليه أطير ..
أنا .. يا صديقي الأثير
بفرحة طفل صغير
بشوق سنونوٍ شارد
وأحتضن الآلة الجامده
وأعصر أسلاكها الباردة
وأنظر الصوت .. صوتك يهمني عليّ
دفيئاً .. مليئاً .. قويّ ..
كصوت نبي ..
كصوت ارتطام النجوم ، كصوت سقوط الحلي
وأبكي .. وأبكي .. لأنك فكرت فيّ ..
لأنك من شرفات الغيوب .. هتفت إليّ ..

* * *

- ٥ -

ويوم أجيء إليك لكي أستعير كتاب ..
لأزعم أنني أتيت لكي أستعير كتاب ..
تمدّ أصابعك المتعبه
إلى المكتبه ..
وأبقى أنا في ضباب الضباب
كأنني سؤال بغير جواب
أحدق فيك .. وفي المكتبه ..
كما تفعل القطه الطيبه ..
تراك اكتشفت ؟
تراك عرفت ؟
بأنني جنئت لغير الكتاب
وأنني لست سوى كاذبه !!
* * *

- ٦ -

.. وأمضي سريعاً إلى مخدعي
أضم الكتاب إلى أضلعي
كأنني حملت الوجود معي ..
وأشعل ضوئي .. وأسدل حولي الستور
وأنبش بين السطور ، وخلف السطور
وأعدو وراء الفواصل .. أعدو وراء نقاط تدور
.. ورأسي يدور ..
كأنني عصفورة جائعه
تفتش عن فضلات البذور
لعلك يا .. يا صديقي الأثير
تركت باحدى الزوايا .. عبارة حب قصيره ..
جنينة شوقٍ صغيره ..
لعلك بين الصحائف خبأت شيئاً
سلاماً صغيراً .. يعيد السلام إليها ..

- ٧ -

.. وحين نكون معاً في الطريق
وتأخذ - من غير قصد - ذراعي
أحسُّ أنا يا صديق
بشيء عميق

بشيّ يشابه طعم الحريق
على مرفقي ..
وأرفع كفيّ نحو السماء
لتجعل دربي بغير انتهاء ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع ..
لكي يستمر ضياعي ..

- ٨ -

وحين أعود مساءً إلى عرفتي ..
وأنزع عن كتفيّ الرداء ..
أحس - وما أنت في غرفتي -
بأن يدبك ..
تلفان في رحمة مرفقي ..
وأبقى لأعبد يا مرهقي
مكان أصابعك الدافئات
على كم فستاني الأزرق ..
وأبكي .. وأبكي .. بغير انقطاع
كأن ذراعي ليست ذراعي ..

طوق الياسمين

شكراً ..
لطوق الياسمين
وضحكت لي ..
وظننتُ أنّك تعرفين
معنى سوار الياسمين
يأتي به رجلٌ إليك ..
ظننتُ أنّك تُدركين ..
.. وجلست في ركن ركين
تتمشين
وثنّطين العطرَ من قارورةٍ
وتدممين
لحناً فرنسيّ الرنين
لحناً كأيّامي حزين
قدماك في الخُفّ المُقَصَّب ..

جَدُولَانِ مِنَ الْحَنِينِ
وَقَصِدْتَ دَوْلَابَ الْمَلَابِسِ ..
تَقْلَعِينَ .. وَتَرْتَدِينَ
وَطَلَبْتَ أَنْ أُخْتَارَ مَاذَا تَلْبَسِينَ
أَقْلِي إِذَنْ ؟
أَقْلِي إِذَنْ تَتَجَمَّلِينَ ؟
وَوَقَفْتُ .. فِي دَوَامَةِ الْأَلْوَانِ مُلْتَهَبَ الْجَبِينِ
الْأَسْوَدُ الْمَكْشُوفُ مِنْ كَتْفَيْهِ .. هَلْ تَتَرَدَّدِينَ ؟
لَكِنَّهُ لَوْنٌ حَزِينٌ !
لَوْنٌ كَأَيَّامِي حَزِينٌ
وَلِبْسَتِهِ .. وَرَبَطْتَ طَوْقَ الْيَاسْمِينِ
وَضَنْنْتُ أَنَّكَ تَعْرِفِينَ ..
مَعْنَى سَوَارِ الْيَاسْمِينِ
يَأْتِي بِهِ رَجُلٌ إِلَيْكَ ..
ظَنْنْتُ أَنَّكَ تُدْرِكِينَ ..

*

هَذَا الْمَسَاءُ ..
بِحَانَةٍ صُغْرَى رَأَيْتُكَ تَرْقَصِينَ
تَتَكَسَّرِينَ عَلَى زُنُودِ الْمُعْجَبِينَ
تَتَكَسَّرِينَ ..
وَتُدَمِّمِينَ ..
فِي أُذُنِ فَارِسِكَ الْأَمِينِ
لِحْنًا فَرَنْسِيَّ الرِّينِ ..
لِحْنًا كَأَيَّامِي حَزِينِ ..
وَبَدَأْتُ أَكْتَشِفُ الْيَقِينَ
وَعَرَفْتُ أَنَّكَ لِلْسَّوَى تَتَجَمَّلِينَ
وَلَهُ تَرُشِّينَ الْعَطُورِ ..
وَتَقْلَعِينَ .. وَتَرْتَدِينَ ..
وَلَمَحْتُ طَوْقَ الْيَاسْمِينِ ..
فِي الْأَرْضِ مَكْتُومَ الْأَنْبِيَاءِ
كَالْجُثَّةِ الْبَيْضَاءِ .. تَدْفَعُهُ جُمُوعُ الرَّاqَصِينَ
وَيَهْمُ فَارِسُكَ الْجَمِيلُ بِأَخْذِهِ ..
فَنُمانَعِينَ ..

وئَقْهَقْهَيْنُ ..
" لا شَيْءَ يَسْتَدْعِي انْحِنَاءَكَ ..
ذَاكَ طَوْقُ الْيَاسْمِينِ .. "

قصيدة الحزن

عَلَّمَنِي حُبُّكَ أَنْ أَحْزَنَ
وَأَنَا مُحْتَاجٌ مِنْذُ عَصُورِ
لَا مَرَأَةً تَجْعَلُنِي أَحْزَنَ
لَا مَرَأَةً أَبْكِي بَيْنَ ذِرَاعَيْهَا
مِثْلَ الْعَصْفُورِ ..
لَا مَرَأَةً تَجْمَعُ أَجْزَائِي
كَشَطَايَا الْبَلُورِ الْمَكْسُورِ
عَلَّمَنِي حُبُّكَ .. سَيِّدَتِي
أَسْوَأَ عَادَاتِ
عَلَّمَنِي أَفْتَحُ فَنَجَانِي
فِي اللَّيْلَةِ آلَافَ الْمَرَّاتِ
وَأَجْرَبُ طَبَّ الْعِطَارِينَ ..
وَأَطْرُقُ بَابَ الْعَرَافَاتِ
عَلَّمَنِي .. أَخْرَجُ مِنْ بَيْتِي
لَأَمْشُطَ أَرْصَفَةَ الطَّرِيقَاتِ
وَأَطَارِدَ وَجْهَكَ ..
فِي الْأَمْطَارِ، وَفِي أَضْوَاءِ السِّيَّارَاتِ
وَأَطَارِدَ طَيْفَكَ ..
حَتَّى .. حَتَّى ..
فِي أَوْرَاقِ الْإِعْلَانَاتِ ..
عَلَّمَنِي حُبُّكَ ..
كَيْفَ أَهْيِمُ عَلَى وَجْهِي سَاعَاتِ
بَحْثًا عَنْ شِعْرِ غَجَرِيٍّ
تَحْسُدُهُ كُلُّ الْعَجَرِيَّاتِ
بَحْثًا عَنْ وَجْهِ .. عَنْ صَوْتِ ..
هُوَ كُلُّ الْأَوْجِهَةِ وَالْأَصْوَاتِ

*

أَدْخَلَنِي حُبُّكَ سَيِّدَتِي

مُذُنَ الأَحْزَانِ
وأنا من قبلك لم أدخل
مُذُنَ الأَحْزَانِ ..
لم أعرف أبداً .. أن الدمع هو الإنسان
أن الإنسان بلا حزن ..
ذكرى إنسان ..
علمني حبك ..
أن أتصرف كالصبيان
أن أرسم وجهك ..
بالطباشور على الحيطان
وعلى أشربة الصيادين ..
على الأجراس ..
على الصلبان ..
علمني حبك ..
كيف الحب يغير خارطة الأزمان
علمني .. أنني حين أحب
تكف الأرض عن الدوران ..
علمني حبك أشياء ..
ما كانت أبداً في الحُسابان
فقرأت أقاصيص الأطفال ..
دخلت قصور ملوك الجان
وحلمت بأن تتزوجني
بنتُ السلطان
تلك العيناها .. أصفى من ماء الخلجان
تلك الشفتاها .. أشهى من زهر الرُّمان
وحلمت بأنني أخطئها ..
مثلَ الفُرسان ..
علمني حبك ، يا سيّدي ، ما الهذيان
علمني .. كيف يمرُّ العمر ..
ولا تأتي بنتُ السلطان ..
علمني حبك ..
كيف أحبك في كل الأشياء
في الشجر العاري ..

في الأوراق اليابسة الصفراء
في الجو الماطر ، في الأنواء
في أصغر مقهى ..
نشرب فيه ، مساءً ، قهوتنا السوداء
علمني حبك أن أوي ..
لفنادق ليس لها أسماء ..
وكنائس ليس لها أسماء ..
ومقاه ليس لها أسماء ..
علمني حبك ..
كيف الليل يضخم أحزان الغرباء
علمني .. كيف أرى بيروت
إمرأة .. طاغية الإغراء
إمرأة .. تلبس كل مساء
أجمل ما تملك من أزياء
وترش العطر .. على نهديها ..
للبحارة والأمراء ..
علمني حبك ..
أن أبكي من غير بكاء
علمني .. كيف ينام الحزن
كغلام مقطوع القدمين
في طرق " الروشة " و " الحمراء "
علمني حبك أن أحزن ..
وأنا محتاج منذُ عصور
لامرأة .. تجعلني أحزن
لامرأة .. أبكي بين ذراعيها ..
مثل العصفور ..
لامرأة .. تجمعُ أجزائي
كشظايا البللور المكسور ..

قارئة الفنجان

جلست .. والخوفُ بعينيها
تتأملُ فنجاني المقلوب
قالت :

يا ولدي .. لا تَحْزَن
فالحُبُّ عَلَيْكَ هُوَ المكتوب
يا ولدي
قد ماتَ شهيداً ..
من ماتَ على دينِ المحبوب
فنجانك .. دنيا مرعبة
وحياتك أسفارٌ وحروب ..
سُحِبُ كثيرًا يا ولدي ..
وتموتُ كثيرًا يا ولدي ..
وستعشقُ كُلَّ نساءِ الأرض ..
وترجعُ كالمُلكِ المغلوب ..

*

بحياتك يا ولدي ، امرأة ..
عينها ، سبحانَ المعبود
فمُها .. مرسومٌ كالعنقود
ضحكتها ، موسيقى و ورود
لكنَّ سماءك ممطرة ..
وطريقك مسدودٌ .. مسدود
فحبيبة قلبك .. يا ولدي
نائمة في قصرٍ مرصود
والقصرُ كبيرٌ يا ولدي
وكلابٌ تحرسُهُ .. وجنود
وأميرة قلبك نائمة ..
من يدخلُ حُجرتها مفقود ..
من يطلبُ يَدَها .. من يَدنو ..
من سور حديقته مفقود
من حاولَ فكَّ ضفائرها
يا ولدي ..
مفقودٌ .. مفقود .. مفقود ..

*

بصَّرتُ .. ونجَّمتُ كثيرًا
لكني .. لم أقرأ أبدًا
فنجاناً يشبهُ فنجانك

لم أعرف أبداً يا ولدي
أحزاناً تشبه أحزانك
مقدورك .. أن تمشي أبداً
في الحب .. على حدّ الخنجر
وتظلّ وحيداً كالأصداف
وتظلّ حزيناً كالصفصاف
مقدورك أن تمضي أبداً
في بحر الحبّ بغير قُلوع
وتحبُّ .. ملايين المرات ..
وترجعُ كالملك المخلوع ..

صديقتي وسجائري

واصل تدخينك .. يغريني
رجل في لحظة تدخين
هي نقطة ضعفي كامرأة
فاسـتثمر ضعفي وجنوني
ما شهي تبغاك ، والدنيا
تستقبل أول تشريـن
والقهوة .. والصحف الكسلى
ورؤى .. وحطام فجاجين
دخل لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفنني
رجل .. تتضم أصابعه
وتفكر من غير جبين ..
أشعل واحدة من أخرى ..
أشعلها من جمر عيوني
ورمادك ضعه على كفي
نيرانك ليست تؤذني
فأنا كامرأة .. يرضيني
أن ألقى نفسي في مقعد
ساعات في هذا المعبد
أتأمل في الوجه المجهد
وأعد .. أعد .. عروق اليد

فعروق يديك تسليني
وخيوط الشيب هنا .. وهنا ..
تنهي أعصابي .. تنهيني
دخن .. لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفيني
* * *

أحرقني .. أحرق بي بيتي
وتصرف فيه كمجنون ..
فأنا كامرأة .. يعجبني
أن أشعر أنك تحميني
أن أشعر أن هناك يبدأ
تتسلل من خلف المقعد ..
كي تمسح رأسي وجبيني
تتسلل من خلف المقعد
لتداعب أذني بسكون
ولتترك في شعري الأسود
عقداً من زهر الليمون
* * *

دخن .. لا أروع من رجل
يفنى في الركن .. ويفيني

إلى تلميذة

قل لي - ولو كذباً - كلاماً ناعماً
قد كاد يقتلني بك التمثال
مازلت في فن المحبة .. طفلة
بينني وبينك .. أبحر وجمال
لم تستطعي ، بعد ، أن تفهمي
أن الرجال جميعهم أطفال
إنني لأرفض أن أكون مهرجاً
قزماً ، على كلماته يحتال
فإذا وقفت أمام حسنك صامتاً
فالصمت في حرم الجمال .. جمال
كلماتنا في الحب .. تقتل حبنا

إن الحروف تموت حين تقال ..
قصص الهوى قد أفسدتك .. فكلها
غيبوبة .. وخرافة .. وخيال
الحب ليس رواية شرقية
بختامها يتزوج الأبطال
لكنه الإبحار دون سفينة
وشعورنا أن الوصول محال
هو أن تظل على الأصابع رعدة
وعلى الشفاه المطبقات سؤال
هو جدول الأحزان في أعماقنا
تتمو كروم حوله وغلال ..
هو هذه الأزمات تسحقنا معاً ..
فتموت نحن .. وتزهر الآمال
هو أن نثور لأي شيء تافه
هو يأسنا .. هو شكنا القتال
هو هذه الكف التي تغتالنا
ونقبل الكف التي تغتال

*

لا تجرحي التمثال في إحساسه
فلكم بكى في صمته تمثال
قد يطلع الحجر الصغير براعماً
وتسيل منه جداول وظلال
إنني أحبك من خلال كآبتي
وجهاً كوجه الله .. ليس يطال
حسبي .. وحسبك .. أن تظلي دائماً
سراً يمزقني .. وليس يقال ..

لوليتا

- ١ -

صار عمري خمس عشرة
صرت أحلى ألف مره
صار حبي لك أكبر
ألف مره ..

ربما من سنتين
لم تكن تهتم في وجهي المدور
كان حسني بين .. بين ..
وفساتيني تغطي الركبتين
كنت آتيك بثوبي المدرسي
وشرطي القرمزي
كان يكفيني بأن تهدي إليّ
دمية .. قطعة سكر ..
لم أكن أطلب أكثر ..

- ٢ -

... وتطور
بعد هذا كل شيء
لم أعد أقنع في قطعة سكر
ودمي .. تطرحها بين يدي
صارت اللعبة أخطر ..
ألف مره ..
صرت أنت اللعبة الكبرى لديّ
صرت أحلى لعبة بين يدي
صار عمري خمس عشره ..

- ٣ -

صار عمري خمس عشره
كل ما في داخلي غنى .. وأزهر
كل شيء صار أخضر ..
شفتي خوخ .. وياقوت مكسر
وبصدري ضحكت قبة مرمر ..
وينابيع ، وشمس ، وصنوبر
صارت المرأة ، لو تلمس نهدي ، تتخدر
والذي كان سوياً قبل عامين تدور .. فتصور ..
طفلة الأمس التي كانت على بابك تلعب ..
والتي كانت على حضنك تغفو حين تتعب
أصبحت قطعة جواهر ..
لا تقدر ..

- ٤ -

صار عمري خمس عشرة
صرت أجمل ..
وستدعوني إلى الرقص .. وأقبل
سوف ألتف بشال قصبي
وسأبدوا كالأميرات ببهو عربي
أنت بعد اليوم ، لن تخجل في ..
فلقد أصبحت أطول ..
آه .. كم صليت كي أصبح أطول
إصبعاً .. أو إصبعين ..
آه .. كم حاولت أن أظهر أكبر
سنةً .. أو سنتين ..
آه .. كم ثرت على وجهي المدور ..
وذؤباتي .. وثوبي المدرسي
وعلى الحب بشكل أبوي
لا تعاملني بشكل أبوي
فلقد أصبح عمري خمس عشرة ..

الرسم بالكلمات

لا تطلبي مني حساب حياتي
إن الحديث يطول يا مولاتي ..
كل العصور أنا بها . فكأنما
عمري ملايين من السنوات
تعبت من السفر الطويل حقائبي
وتعبت من خيلي ومن غزواتي
لم يبق نهد أبيض .. أو أسود
إلا زرعت بأرضه راياتي ..
لم تبق زاوية بجسم جميله
الا ومرت فوقها عرباتي
فصلت من جلد النساء عباءة
وبنيت اهراما من الحلمات ..
وكتبت شعرا .. لا يشابه سحره
إلا كلام الله في التوراة

...واليوم اجلس فوق سطح سفيني
كاللص ، ابحث عن طريق نجاه
وأدير مفتاح الحريم ... فلا أرى
في الظل ، غير جماجم الأموات
أين السبايا ؟ أين ما ملكت يدي؟
أين البخور يضوع من حجراتي؟
اليوم .. تنتقم النهود لنفسها
وترد لي الطعنات بالطعنات..

*

مأساة هارون الرشيد مريرة
لو تدركين مرارة المأساة
إني كمصباح الطريق .. صديقي
أبكي ، ولا احد يرى دمعاتي
الجنس .. كان مسكنا جربته
لم ينه أحزاني ، ولا أزماتي
والحب .. أصبح كله متشابها
كتشابه الأوراق في الغابات
أنا عاجز عن عشق أية نملة
أو غيمة ، عن عشق أي حصة
مارست ألف عبادة وعبادة
فوجدت أفضلها عبادة ذاتي !

*

فمك المطيب .. لا يحل قضيتي
فقضيتي في دفثري ودواتي ..
كل الدروب أمامنا مسدودة
وخلصنا في الرسم بالكلمات ..

إلى رجل ما ..

١

يا سيدي العزيز ..
هذا خطاب امرأة حمقاء ..
هل كتبت إليك قبلي امرأة حمقاء ؟
اسمي أنا ؟

دعنا من الأسماء
رانية ، أم زينب ، أم هند ، أم هيفاء
اسخف ما نحمله - يا سيدي - الأسماء ..

٢

يا سيدي !
أخاف أن أقول ما لدي من أشياء
أخاف - لو فعلت - أن تحترق السماء
فشرقكم يا سيدي العزيز
يصادر الرسائل الزرقاء
يصادر الأحلام من خزائن النساء
يستعمل السكين .. والساطور ..
كي يخاطب النساء ..
ويذبح الربيع ، والأشواق ، والصفائر السوداء
و شرقكم يا سيدي العزيز
يصنع تاج الشرف الرفيع .. من جماجم النساء ..

٣

لا تنتقذي سيدي ..
إن كان خطي سيئاً ..
فإنني أكتب .. والسياف خلف بابي
وخارج الحجرة صوت الريح والكلاب
يا سيدي !
عنتره العبسي خلف بابي
يذبحني .. إذا رأى خطابي
يقطع رأسي ..
لو رأى الشفاف من ثيابي ..
يقطع رأسي .. لو أنا عبرت عن عذابي
فشرقكم يا سيدي العزيز
يحاصر المرأة بالحرايب ..
وشرقكم ، يا سيدي العزيز
يباع الرجال أنبياء
ويطمر النساء في التراب ..

٤

لا تنزعج !

يا سيدي العزيز .. من سطوري
لا تنزعج !
إذا كسرت القمقم المسدود من عصور
إذا نزعت خاتم الرصاص عن ضميري
إذا أنا هربت من أقبية الحريم في القصور
إذا تمردت على موتي ، على قبري ، على جذوري
و المسلخ الكبير ..
لا تنزعج يا سيدي
إذا أنا كشفت عن شعوري
فالرجل الشرقي .. لا يهتم بالشعر و لا الشعور
الرجل الشرقي - واغفر جرأتي -
لا يفهم المرأة إلا داخل السرير ..

٥

معذرة يا سيدي
إذا تطاولت على مملكة الرجال
فالأدب الكبير - طبعاً - أدب الرجال
والحب كان دائماً .. من حصة الرجال ..
والجنس كان دائماً
مخدراً يباع للرجال
خرافة حرية النساء في بلادنا
فليس من حرية أخرى ، سوى حرية الرجال ..
يا سيدي !
قل ما تريده عني .. فلن أبالي
سطحية .. غبية .. مجنونة .. بلهاء ..
فلم أعد أبالي
لأن من تكتب عن همومها
في منطق الرجال ، تدعى امرأة حمقاء
ألم أقل في أول الخطاب ..
إني امرأة حمقاء ..

مرسالة من سيدة حاقدة

" لا تَدْخُلِي " ..
وسدّدت في وجهي الطريقَ بمرقّئك

وزعمتَ لي ..
أنَّ الرفاقَ أتوا إليك ..
أهمُ الرفاقُ أتوا إليك ؟
أم أنَّ سيِّدةً لديك
تحتلُّ بعدي ساعديك ؟
وصرختَ مُحتدماً :

" قفي " !!
والريحُ تمضُ معطفي
والذلُّ يكسو موقفي
لا تعتذر ، يا نذل ، لا تتأسف .
أنا لستُ آسفةً عليك ..
لكنْ على قلبي الوفي
قلبي الذي لم تعرف ..

*

ماذا ؟ لو انك يا دني
أخبرتني ..
أنِّي انتهى أمري لديك
فجميعُ ما وشَّوشتني ..
أيَّامَ كُنتَ تُحبُّني ..
من أنني ..
بيتُ الفراشةِ مسكني
وغدي انفراطُ السَّوسن ..
أنكرتهُ أصلاً .. كما أنكرتني ..

*

لا تعتذر ..
فالإنَّمُ يحصدُ حاجبيكَ
وخطوطُ أحمرها .. تصيحُ بوجنتيك
ورباطك المشدوه ..
يفضحُ ما لديك .. ومنْ لديك
يا مَنْ وقفتُ دمي عليك
وذللتنِّي ..
ونفضتنِّي
كدُّبابَةٍ عن عارضيك

ودعوتَ سيِّدةً إليك
وأهنتني ..
من بعد ما كُنتُ الضياءَ بناظريك ..

*

إني أراها في جوار الموقدِ
أخذتُ هنالكَ مقعدي ..
في الرُّكنِ .. ذاتِ المقعدِ ..
وأراكَ تمنحُها يداً ..
مثلوجةً ..
ذاتَ اليدِ ..
سترددُ القصصَ التي أسمعُني
ولسوفَ تخبرُها بما أخبرتني ..
وسترفعُ الكأسَ التي جرَّعتني
كأساً بها سممتني ..
حتى إذا عادتَ إليك
نشوى بموعدها الهني ..
أخبرتها " أنَّ الرِّفاقَ أتوا إليك .. "
وأضعتَ رونقها كما ضيَّعتني ..

حُبلى

لا تَمْتَقِعْ !
هي كلمةٌ عَجَلَى
إني لأشعرُ أنني حُبلى ..
وصرختُ كالمسلوعِ بي .. " كلا " ..
سئمزقُ الطفلاً ..
وأخذتُ تشتمُّني ..
وأردتُ تطرُدُني ..
لا شيءَ يُدهِشُني ..
فلقد عرفْتُكَ دائماً ندلاً ..

*

وبعثتَ بالخدَّامِ يدفعُني ..
في وحشةِ الدربِ
يا مَنْ زَرَعْتَ العارَ في صُلبي

وكسرتَ لي قلبي ..
ليقولَ لي :
" مولايَ ليسَ هُنا .. "
مولاهُ ألفُ هُنا ..
لكنَّهُ جَبْنا ..
لما تأكَّدَ أنَّني حُبلى ..

*

ماذا .. أتبصِّفُني ؟
والقيءُ في حَلقي يدمِّرُني
وأصابعُ العَنَيانِ تخنُقُني ..
ووريتُكَ المشوومُ في بَدَني
والعارُ يسحِّقُني ..
وحقيقةُ سوداءُ .. تملؤني
هي أنَّني حُبلى ..

*

ليراثكَ الخمسون ..
تُضحكني ..
لِمَن النقودُ .. لِمَن ؟
لُتجهضَني ؟
لتخيِّطَ لي كَفَني ؟
هذا إِذْ نَمَني ؟
ثمنُ الوفا يا بُورَةَ العَفَنِ ..
أنا لم أَجِئكَ لِمَالِكَ النِّتَنِ ..
" شكراً .. "
سأسقطُ ذلكَ الحَمَلا
أنا لا أريدُ لَهُ أباً نَدَلا ..

أوعية الصِّدي

" لا .. لا أريد .. "
" المرة الخمسون .. إني لا أريد .. "
ودفنتُ وجهكَ للجدار .. أيا جداراً من جليد
وأنا وراءك - يا صغير النفس - نابحة الوريد
شعري على كتفي بديد ..

والريح تفنل مقبض الباب الوصيد
ونباح كلبٍ من بعيد
والحارسُ الليليُّ ، والمزrab متصل النشيد ..
حتى الغطاء .. سرقة
وطعنت لي الأملَ الوحْدُ
أُملي الذي مزقته ..
أُملي الوحيد ..
ماذا أريد ؟
وقُبيل ثانيتين ..
كنت تجول كالثور الطريد
والآن ..
أنت بجانبني ..
قفصٌ من اللحم القديد ..
ما أشنع اللحم القديد ..
ماذا أريد ؟
يا وارثاً عبد الحميد ..
والمتكى التركيُّ ، والنرجلية الكسلى تنن وتستعيد
والشركسيات السبايا حول مضجعه الرغيدُ
يسقطن فوق بساطه ..
جيداً فجيداً ..
وخليفة الإسلام ، والملك السعيدُ
يرمي .. ويأخذ ما يريد ..
لا .. لم يمت عبد الحميدُ
فلقد تقمص فيكم عبد الحميدُ
حتى هنا . حتى على السرر المقوسة الحديدُ
نحن النساء لكم عبيدُ
وأحط أنواع العبيد ..
كم مات تحت سياطكم نهد شهيدُ
وبكى من استنارهم خصرٌ عميدُ ..
*

ماذا أريد ؟
لا شيء . يا سفاح . يا قرصان . يا قبو الجليدُ
فأنا وعاءٌ للصديد ..

يا ويل أوعية الصديد ..
هي ليست تملك .. أن تريدَ ولا تريدُ ..

إلى قديسة

ماذا إذن تتوقعين ؟
يا بضعة امرأة .. أجيبني .. ما الذي تتوقعين ؟
أأظُلُّ أصطاد الذباب هنا ؟ وأنتِ تدخنين
أجترّ كالحشّاش أحلامي ..
وأنتِ تدخنين ..
وأنا أمام سريرك الزاهي كقطّ مستكين ..
ماتت مخالبه ، وعزته ، وهذته السنين
أنا لن أكون - تأكدي - القطّ الذي تتصورين ..
قطاً من الخشب المجوّف .. لا يحركه الحنين
يغفو على الكرسيّ إذ تتجردين
ويردّ عينيه .. إذا انحسرت قباب الياسمين ..

* * *

تلكَ النهاية ليس تدهشني ..
فما بالك تُدهشين ؟
هذا أنا .. هذا الذي عندي ..
فماذا تأمرين ؟
أعصابي احترقت .. وأنتِ على سريركِ تقرأين
أصوم عن شفّتك ؟
فوق رجولتي ما تطلبين ..
ما حكمتي ؟
ما طبيّتي ؟
هذا طعام الميتين ..
متصوف ! من قال ؟ إني آخر المتصوّفين
أنا لستُ يا قديستي الربّ الذي تتخيلين
رجلٌ أنا كالآخرين
بطهارتي ..
بنذالتي ..
رجل أنا كالآخرين

فيه مزايا الأنبياء ، وفيه كفر الكافرين
وداعة الأطفال فيه ..
وقسوة المتوحشين ..

* * *

رجل أنا كالآخرين ..
رجل يحبّ - إذا أحبّ - بكلّ عنف الأربعين
لو كنت يوماً تفهمين
ما الأربعون .. وما الذي يعنيه حبّ الأربعين
يا بضعة امرأة .. لو أنك تفهمين ..

إلى أجيرة

بدراهمي !
لا بالحديث الناعم
حطمت عزتك المنيعه كلها .. بدراهمي
وبما حملت من النفائس ، والحرير الحالم
فأطعنتي ..
وتبعني ..
كالقطة العمياء مؤمنة بكل مزاعمي ..
فاذا بصدرك - ذلك المغرور - ضمن غنائى
أين اعتدادك ؟
أنت أطوع في يدي من خاتمي ..
قد كان ثغرك مرّة ..
ربي .. فأصبح خادمي
آمنت بالحسن الاجير .. وطأته بدراهمي ..
وركلته ..
وذللته ..
بدمي ، بأطواق كوههم الواهم ..
ذهب .. وديباج .. وأحجار تشعّ فقاومي !!
أي المواضع منك .. لم تهطل عليه غمائي
خيرات صدرك كلها ..
من بعض .. بعض مواسمي ..
بدراهمي !
باناء طيب فاغم

ومشيت كالفأر الجبان إلى المصير الحاسم
ولهوتُ فيك .. فما انتختُ شفتاك تحت جرائمي
والأرنبتن الأبيضان .. على الرخام الهاجم
جبنا .. فما شعرا بظلم الطالم ..
وأنا أصب عليهما ..
ناري .. ونار شتائمي ..
ردي .. فلست أطيّق حسناً ..
لا يرد شتائمي ..

*

مسكينة ..

لم يبق شيء منك .. منذ استعبدتكِ دراهمي !!

لن تطفئي مجدي

ثرثرت جداً .. فاتركيني
شيء يمزق لي جبينني
أنا في الجحيم ، وأنت لا
تدريين ماذا يعتريني
لن تفهمي معنى العذاب
بريشتي .. لن تفهميني
عمياء أنت .. ألم تري
قلبي تجمع في عيوني ؟
مات الحنين .. أسمعين ؟
ومتّ أنت مع الحنين
لا تسأليني .. كيف قصتنا
إنتهت ، لا تسأليني
هي قصة الأعصاب ، والأفيون
والدم .. والجنون
مرت .. فلا تتذكري
وجهي .. ولا تتذكريني
إن تنكريها .. فأقـرأي
تاريخ سخفك .. في غضوني

*

أمريضة الأفكار .. يابى

الليل أن تستضعفيني
لن تطفئي مجدي على
قدح .. وضمة ياسمين
إن كان حبك .. أن أعيش
على هرائك .. فأكرهيني ..
*

حاولت حرقني .. فاحترقت
بنار نفسك .. فأعذريني
لا تطلبي دمعي ، أنا
رجل يعيش بلا جفون
مزقت أجمل ما كتبته
وغرت حتى من ظنوني
وكسرت لوحاتي ، وأضرمت
الحرائق في سكوني
وكرهتني .. وكرهت فناً
كنت أطعمه عيوني
ورأيتني أهب النجوم
محبتي فوقفت دوني
حاولت أن أعطيك من
نفسي ، ومن نور اليقين
فسخرت من جهدي ، ومن
ضربات مطرقتي الحنون
وبقيت - رغم أناملني -
طيناً تراكم فوق طين
لا كنت شيئاً .. في حساب
الذكريات ، ولن تكوني
*

شفتي سأقطعها .. ولن
أمشي إليك على جبينني ..

إلى نهدين مغرورين

عندي المزيد من الغرور .. فلا تبيعني غرورا
إن كنت أَرْضَى أن أحبك ..

فاشكري المولى كثيرا ..
من حُسن حظك ..
أن غَدَوْتُ حبيبتي .. زمناً قصير
فأنا نفخت النارَ فيكِ ..
وكنتِ قبلي زمهريرا ..
وأنا الذي أنقذتِ نهدكِ من تسكعه ..
لأجعله أميرا ..
وأدرته .. لولا يداي .. أكان نهدكِ مستديرا ؟
وأنا الذي حرصتُ حلمتكِ الجبانة كي تثورا
وأنا الذي ..
في أرضك العذراء .. ألقيتُ البذورا
فتفجرتُ .. ذهباً ، وأطفالاً ، وياقوتاً مثيرا

مِنْ حُسن حظكِ .. أن تحبينني
ولو كذباً وزورا ..
فأنا بأشعاري فتحتُ أمامكِ البابَ الكبير
وأنا دللتُ على أنوثتكِ .. المراكبَ والطيور
وجعلتُ منكِ مليكةً
ومنحتكِ التاجَ المرصع ، والسريرا
حسبي غروراً أنني علمتُ نهديكِ الغرورا
فلتشكري المولى كثيرا ..
أني عشقتكِ ذاتَ يومٍ ..
أشكُري المولى كثيرا ..

الخرافة

حين كنا ..
في الكتاتيب صغارا
حقنونا بسخيف القول ليلاً ونهارا
درسونا :
" ركة المرأة عوره .. "
" ضحكة المرأة عوره .. "
" صوتها – من خلف ثقب الباب – عوره .. "
صوروا الجنس لنا ..

غولاً بأنيابٍ كبيرة
يخنقُ الأطفالَ ، يقتات العذارى
خوفونا ..
من عذاب الله ، إن نحن عشقنا
هددونا ..
بالسكاكين .. إذا نحن حلمنا
فنشأنا ..
كنباتات الصحارى
نلعقُ الملحَ ، ونستافُ الغبارا

يوم كان العلمُ في أيامنا ..
فلقةً تُمسكُ رجلينا .. وشيخاً .. وحصيرا
شوهونا ..
شوهوا الإحساس فينا والشعورا
فصلوا أجسادنا عنا .. عصوراً وعصورا
صوروا الحب لنا .. باباً خطيرا
لو فتحناه .. سقطنا ميتين ..
فنشأنا ساذجين
وبقينا ساذجين
نحسب المرأة شاةً أو بغيرا
ونرى العالم جنساً وسريرا ..

القصيدة المتوحشة

أحبيني بلا عقد ..
وضياعي في خطوط يدي
أحبيني لأسبوع ، لأيام ، لساعات ..
فلست أنا الذي يهتم بالأبد ..
أنا تشرين ..
شهر الريح ، والأمطار ، والبرد ..
أنا تشرين .. فانسحقي
كصاعقة على جسدي ..

أحبيني . بكل توحش التتر

بكل حرارة الأدغال ، كل شراسة المطر
ولا تبقي .. ولا تنذري
ولا تتحضري أبداً ..
فقد سقطت على شفتيكِ كل حضارة الحضر

أحبيني كزلزال ..
كموت غير منتظر ..
وخلي نهدك المعجون بالكبريت والشرر
يهاجمني .. كذئبٍ ، جائعٍ ، خطر ..
وينهشني .. ويضربني
كما الأمطار تضرب ساحل الجزر ..
أنا رجل بلا قدر ..
فكوني أنت لي قدري ..
وأبقيني على نهديك مثل النقش في الحجر ..

أحبيني .. ولا تتساءلي كيفاً
ولا تلعثمي خجلاً .. ولا تتساقطي خوفاً .
فحين الحب يضربنا ..
فلا (لماذا) ولا (كيفاً) ..
أحبيني .. بلا شكوى
أيشكو الغمد إذ يستقبل السيفاً
وكوني البحر والميناء ، كوني الأرض والمنفى
وكوني الصحو والإعصار ..
كوني اللين والعنفا
أحبيني .. بألف وألف أسلوب
ولا تتكرري كالصيف .. إني أكره الصيف ..
أحبيني .. وقوليها
لأرفض أن تحبيني بلا صوتٍ
وأرفض أن أوري الحب في قبرٍ من الصمتِ
أحبيني ..
بعيداً عن بلاد القهر والكبت ..
بعيداً عن مدينتنا التي شبعَت من الموت ..
بعيداً عن تعصبها ..

بعيداً عن تخشبها
أحبيني .. بعيداً عن مدينتنا
التي من يوم أن كانت
إليها الحب لا يأتي ..
إليها الله لا يأتي ..

أحبيني ..
ولا تخشي على قدميك ، سيدتي ، من الماء
فلن تتعمدي امرأة ..
وجسمك خارج الماء ..
وشعرك خارج الماء ..
فنهك بطة بيضاء .. لا تحيا بلا ماء
أحبيني بطهري أو بأخطائي ..
بصحوي أو بأنوائي ..
وغطيني ، أيا سقفاً من الأزهار ، يا غابات حناء
تعري .. واسقطي مطراً على عطشي وصحرائي
وذوبي في فمي كالشمع .. وانعجني بأجزائي ..
تعري .. واشطري شفتي
إلى نصفين .. يا موسى بسيناء ..

نهداك

سمراء .. صبي نهدك الأسمر في دنيا فمي
نهداك نبعا لذة حمراء تشعل لي دمي
متمردان على السماء ، على القميص المنعم
صنمان عاجيان ... قد ماجا ببحرٍ مضرم
صنمان .. إني أعبدُ الأصنامَ رغم تـأثمي

فكي الغلالة .. واحسري عن نهدك المتضرم
لا تكبتي النارَ الحبيسة ، وارتعاش الأعظم
نار الهوى ، في حلمتيك ، أكولة كجهنم
خمريتان .. احمرتا بلظى الدم المتهجم ..
محروقتان .. بشوة تبكي ، وصبرٍ ملجم

نهداك وحشيان .. والمصباح مشدوه الفم
والضوء منعكس على مجرى الحليب المعتم
وأنا أمديدي .. وأسرق من حقول الأنجم
والحلمة الحمقاء .. ترصدني بظفر مجرم
وتغط إصبعها وتغمسها بحبر من دمي ..

يا صلبة النهدين .. يأبى الوهم أن تتوهمي
نهداك أجمل لوحتين على جدار المرسوم ..
كرتان من زغب الحرير ، من الصباح الأكرام
فتقدمي ، يا قطتي الصغرى ، إليّ تقدمي ..
وتحرري مما عليك .. وحطمني .. وتحطمني ..

مغرورة النهدين .. خلي كبرياءك وانعمي
بأصابعي ، بزوابعي ، برعونتي ، بتهجمي
فغداً شبابك ينطفي مثل الشعاع المضم
وغداً سيدوبني النهدي والشفقتان منك .. فأقدمي
وتفكري بمصير نهداك .. بعد موت الموسم

لا تفزعي .. فاللثم للشعراء غير محرم
فكي أسيري صدرك الطفلين .. لا .. لا تظلمي
نهداك ما خلقنا للثم الثوب .. لكن .. للفم
مجنونة من تحجب النهدين .. أو هي تحتمي
مجنونة .. من مرّ عهد شبابها لم تلتئم ..

.. وجذبتُ منها الجسم ، لم تنفر ولم تتكلم
مخمورة .. مالت عليّ بقدها المتهدم
ومضتْ تعلاني بهذا الطافر المتكوم
وتقول في سكر ، معربة ، بأرشق مبسم
" يا شاعري .. لم ألق في العشرين مَنْ لم يفطم .. "

القصيدة الشريفة

مطر .. مطر .. وصديقتها
معها .. ولتشرين نواح

والباب تنن مفاصله
ويعربد فيه المفتاح
شيء بينهما .. يعرفه
إثنان .. أنا والمصباح
وحكاية حب لا تحكى
في الحب يموت الإيضاح ..
الحجرة فوضى .. فحلي
تُرمى ، وحرير ينزاح
ويغادر زر عروته
بفتور ، فالليل صباح
الذئبة ترضع ذئبتها
ويد تجتاح .. وتجتاح
ودثار فر .. فواحدة
تُدنيه ، وأخرى ترتاح
وحوار نهود أربعة
تتهامس .. والهمس مباح
كطيور بيض .. في روض
تتناقش .. والريش سلاح
حبّات العقدين .. انفرطت
من لهو ، وانهد وشاح
فاللحم الطفل ، يمزقه
في العنمة ، ظفر سفاح
وجزارة شعر .. وانقطعت
فالصوت المهموس نباح
ويكسر نهْد واقعه
ويثور .. فلجرح جراح
ويموت الموت .. ويستلقي
مما عناه المصباح

*

يا أختي . لا .. لا تضطربي
إني لك صار وجناح
أتراني كونت امرأة
كي تمضغ نهدي الأشباح ؟

أشدّوز ، أختاه ، إذا ما
لثمَ التفاحَ التفاحُ ؟
نحنُ امرأتان .. لما قمم
ولنا أنواءٌ ورياحُ ..

مطرٌ .. مطرٌ .. وصديقتها
معها .. ولتشرين نواحُ
والبابُ تنن مفاصله
ويعربدُ فيه المفتاحُ ..

البغي

١

علّقتُ في بابها قنديلها
نازفَ الشريان ، محمّر الفتيله
في زقاقِ ضوأت أو كاره
كل بيتٍ فيه ، مأساةً طويله
غرفٌ .. ضيقه .. موبوءه
وعناوين لـ (ماري) و (جميله)
وبمقهى الحي .. حاكٍ هـرم
راح يجتر أغانيه الذليله
وعجوز خلف نرجياتها
عمرها أقدم من عمر الرذيله
إنها أميرة البيت هنا ..
تشتم الكسلى ، وتسترضي العجوله
وأمام الباب .. صعلوك هوى
تافه الهيئه ، مسلوب الفضيله
يعرض اللحم على قاضيه ..
مثلما يعرض سمسارٌ خيوله
" هذه .. جاءت حديثاً .. سيدي
ناهدٌ ما زال في طور الطفوله ..
أو إذا شئت .. فرافق هـذه
إنها أشهى من الخمر الأصيله .. "
أي رق .. مثل أنثى ترتمي

تحت شاريها ، بأوراق ضئيلة
قيمة الإنسان ، ما أحقرها
زعموه غايةً .. وهو وسيلة ..

٢

لو ترى الردهة فيها اضجعت
كل بنتٍ كانت كـانفـاح الزهره
نهدّها منتظرٌ جـزاره
صابر حتى يلاقي قدره
هذه المذهبة السن .. هنا
ترقب الباب بعين حذره
حسرت عن ركبةٍ شاحبةٍ
لونها لون الحياة المنكره
من سيأتي ؟ من سيأتي معها ؟
أي صعلوك . حقير ، نكـرـة ؟
وهناك .. انفردت واحدة
عطرنا أرخص من أن أذكره ..
حاجب بولغ في تخطيطه
وطلاء كجدار المقبره ..
وفم .. متسع .. متسع
كغلاف التينة المعتصره
الفضوليون من خلف الكوى
أعين ، جائعة مستعره
وشجار دائر في منزل
وسكاري .. ونكات قذره ..
من رأهن .. قوارير الهوى
كنعاج بانتظار المجزره
كم صبايا ، مثل ألوان الضحى
أفسدتهن عجوزٌ خطره

٣

هذه المجدورة الوجه انزوت
كوباء .. كبعير نتن
أخرجت ساقاً لها معروقة
مثل ميت خارج من كفن ..

حفرٌ في وجهها مُرعبةٌ
تَرَكتها عَجَلات الزمن ..
نهدها حبةُ تينٍ .. نشفت
رَحِمَ اللهَ زمان اللبـن ..
فالعصافير التي كانت هُنا
تنغذى بالشذا والسوسن
كلها طارت بعيداً .. عندما
لم يعد في الأرض غير الدِمنِ
إنها الخمسون .. ماذا بعدها ؟
غير أمطار الشتاء المحزن
إنها الخمسون .. ماذا ظل لي ؟
غير هذا الوحل ، هذا العفن
غير هذي الكأس أستهلكها
غير هذا التبغ يستهلكني
غير تاريخٍ مُدْمَى .. حيثما
سرتُ ، ألقى ظله يتبعُني
غير أقدام الخطايا .. رجعتُ
تُحرقُ الغرفة بي .. تُحرقني
غير ربٍّ .. كنتُ لا أعرفه
وأراه الآن .. لا يعرفني ..

٤

يا لصوص اللحم .. يا تُجاره
هكذا لحمُ السبايا يؤكل
منذ أن كان على الأرض الهوى
أنتم الذئب .. ونحن الحمل
نحن الآت هوىً مجهدةً
تفعلُ الحُبَّ ، ولا تتفعلُ ..
أنبشوا في جثثٍ فاسدة
سارق الأكفان لا يختجل
وارقصوا فوق نهودٍ صلبت
مات فيها النور .. مات المخمل
من أنا ؟ إحدى خطاياكم أنا
نعجةٌ في دمكم تغتسل

أشتهي الأسرةَ والطفـلَ .. وأن
يحتويني ، مثل غيري ، منزل
أرجموني .. سدّدوا أحجاركم
كلكم يوم سقوطي بطلُ
يا قضاتي ، يا رماتي ، إنكم
إنكم أجبن من أن تعدلوا ..
لن تخيفوني ففي شرعتكم
يُنصرُ الباغي ، ويرمى الأعزل
تُسألُ الأنثى إذا تزني .. وكم
مجرمٍ دامي الزنا .. لا يُسألُ
تسقط البنتُ ، ويحمى الرجلُ ..

الحب والبتول

متى تفهم ؟
متى يا سيّدي تفهم ؟
بأني لستُ واحدةً ..
كغيري ، من صديقاتك
ولا فتحاً نسائياً ..
يُضافُ إلى فتوحاتك
ولا رقماً من الأرقام يعبرُ في سجلاتك ..
متى تفهم ؟
متى تفهم ؟
أيا جملاً من الصحراء لم يلجم ..
ويا من يأكلُ الجدرى منك الوجهَ والمعصمُ
بأني لن أكونَ هنا ..
رماداً في سجاتك
ورأساً ، بين آلاف الرؤوس ، على مخدّاتك
وتمثالاً تزيّدُ عليه ، في حمى مزاداتك
ونهداً فوق مرمره ..
تسجّلُ شكلَ بصماتك ..
متى تفهم ؟

متى تفهم ؟

بأنك لن تخدّرني بجاهك أو إماراتك
ولن تتملك الدنيا .. بنفطك وامتيازاتك
وبالبترول يعبق من عباءاتك ..
وبالعربات .. تطرحها على قدمي عشيقاتك
بلا عدد .. فأين ظهور ناقاتك ؟
وأين الوشم فوق يديك ، أين ثقب خيمايك ؟
أيا متشقق القدمين .. يا عبد انفعالاتك
ويا من صارت الزوجات بعضاً من هواياتك
تكدّسهنّ بالعشرات .. فوق فراش لذاتك
تحنّطن كالحشرات .. في جدران صالاتك
متى تفهم ؟

متى يا أيها المتخم ؟
متى تفهم ؟
بأنني لست من تهتم ..
بنارك أو بجنائك ..
وأن كرامتي أكرم ..
من الذهب المكّس بين راحتك
وأن مناخ أفكار غريب عن مناخاتك
أيا من فرّخ الإقطاع في ذرات ذراتك
ويا من تخجل الصحراء حتى من مناداتك ..
متى تفهم ؟

تمرّغ .. يا أمير النفط ، فوق وحول لذاتك
كممسحة .. تمرّغ في ضلالاتك
لك البترول .. فاعصره
على قدمي خلياتك
كهوف الليل في باريس .. قد قتلت مروعاً
على أقدام مومسة هناك ..
دفنت ثاراتك ..
فبعث القدس .. بعث الله .. بعث رماد أمواتك
كأن حراب إسرائيل لم تجهض شقيقاتك
ولم تهدم منازلنا

ولم تحرق مصاحفنا
ولا راياتها ارتفعت على أشلاء راياتك ..

كأنَّ جميعَ من صُلبوا ..
على الأشجار في يافا ..
وفي حيفا ..
وبئرَ السبع .. ليسوا من سُلالاتك
تغوصُ القدسُ في دمها
وأنتَ صريعُ شهواتك
تنامُ .. كأنما المأساة ليستَ بعضَ مأساتك
متى تفهمُ ؟
متى يستيقظُ الإنسانُ في ذاتك ؟

خمس رسائل إلى أمي

١

صباحَ الخير يا حلوه..
صباحَ الخير يا قديستي الحلوه
مضى عامان يا أمي
على الولدِ الذي أبحر
برحلته الخرافيه
وخبأ في حقائبه
صباحَ بلاده الأخضر
وأنجمها، وأنهرها، وكلَّ شقيقها الأحمر
وخبأ في ملابسه
طرابيناً من النعناع والزعر
وليلكة دمشقية..

٢

أنا وحدي..
دخانُ سجائري يضجر
ومني مقعدي يضجر
وأحزاني عصافير..
تفتشُ -بعدُ- عن بيدر
عرفتُ نساءً أوروباً..

عرفتُ عواطفَ الإسمنتِ والخشبِ
عرفتُ حضارةَ التعبِ..
وطفتُ الهندَ، طفتُ السندَ، طفتُ العالمَ الأصفر
ولم أَعثر..
على امرأةٍ تمشطُ شعريَ الأشقر
وتحملُ في حقيبتها..
إليَّ عرائسَ السكر
وتكسوني إذا أعرى
وتتشلّني إذا أَعثر
أيا أُمي..
أيا أُمي..
أنا الولدُ الذي أبحر
ولا زالت بخاطرهِ
تعيشُ عروسةُ السكر
فكيفَ.. فكيفَ يا أُمي
غدوتُ أباً..
ولم أكبر؟

٣

صباحُ الخير من مدريدَ
ما أخبارها الفلة؟
بها أوصيكِ يا أمّاه..
تلكَ الطفلةُ الطفلة
فقد كانت أحبَّ حبيبةٍ لأبي..
يدلّها كطفلتهِ
ويدعوها إلى فنجان قهوتهِ
ويسقيها..
ويطعمها..
ويغمرها برحمتهِ..
.. وماتَ أبي
ولا زالت تعيشُ بحلم عودتهِ
وتبحثُ عنه في أرجاءِ غرفتهِ
وتسألُ عن عباءتهِ..
وتسألُ عن جريدتهِ..

وتسألُ -حينَ يأتي الصيفُ-
عن فيروز عينيهِ..
لتتشرَّ فوقَ كَفِيهِ..
دنانيراً منَ الذهبِ..

٤

سلاماتُ..
سلاماتُ..
إلى بيتِ سقانا الحبَّ والرحمة
إلى أزهاركِ البيضاء.. فرحة "ساحة النجمة"
إلى تحتي..
إلى كتبي..
إلى أطفال حارتنا..
وحيطانِ ملأناها..
بفوضى من كتابتنا..
إلى قططِ كسولاتِ
تنامُ على مشارقنا
وليلكةٍ معرشةٍ
على شبَّاكِ جارتنا
مضى عامان.. يا أمي
ووجهُ دمشقَ،
عصفورُ يخرِشُ في جوانحنا
يعضُّ على ستائرنا..
وينقرنا..
برفقٍ من أصابعنا..

٥

مضى عامان يا أمي
وليلُ دمشقَ
فلُ دمشقَ
دورُ دمشقَ
تسكنُ في خواطرنا
مآذنها.. تضيءُ على مراكبنا
كأنَّ مآذنَ الأمويِّ..
قد زُرعت بداخلنا..

كأنَّ مشاتلَ التفاحِ..
تعبقُ في ضمائرنا
كأنَّ الضوءَ، والأحجارَ
جاءت كلها معنا..

أتى أيلولُ يا أماءُ..
وجاء الحزنُ يحملُ لي هداياهُ
ويتركُ عندَ نافذتي
مدامعه وشكواهُ
أتى أيلولُ.. أينَ دمشقُ؟
أينَ أبي وعيناهُ
وأينَ حريرُ نظرتِه؟
وأينَ عبيرُ قهوته؟
سقى الرحمنُ مثواهُ..
وأينَ رحابُ منزلنا الكبير..

وأينَ نُعماه؟
وأينَ مدارجُ الشمشير..
تضحكُ في زواياهُ
وأينَ طفولتي فيه؟
أجر جرُّ ذيلِ قطتهِ
وأكُلُ من عريشتهِ
وأقطفُ من (بنفشاهُ)

دمشقُ، دمشقُ..
يا شعراً
على حدقاتِ أعيننا كتبناهُ
ويا طفلاً جميلاً..
من صفائنا صلبناهُ
جثونا عند ركبتهِ..
وذبنا في محبتهِ
إلى أن في محبتنا قتلناهُ...

أبي

أما ت أبوك ؟
ضلال ! أنا لا يموت أبي .
ففي البيت منه
روائح رب .. وذكرى نبي
هنا ركنه .. تلك أشيأؤه
تفتق عن ألف غصن صبي
جريدته . تبغه . متكأه
كان أبي - بعد - لم يذهب ..

وصحن الرماد .. وفنجانه
على حاله .. بعد لم يشرب
ونظارتاه .. أيسلو الزجاج
عيوناً أشف من المغرب ؟
بقاياها . في الحجرات الفساح
بقايا النور على الملعب
أجول الزوايا عليه ، فحيث
أمر .. أمر على معشب
أشد يديه .. أميل عليه
أصلي على صدره المتعب
أبي .. لم يزل بيننا ، والحديث
حديث الكؤوس على المشرب
يسامرنا .. فالدوالي الحبالى
توالد من ثغره الطيب ..
أبي خبراً كان من جنة
ومعنى من الأرحب الأرحب ..

وعينا أبي ملجأ للنجوم
فهل يذكر الشرق عيني أبي
بذاكرة الصيف من والدي
كروم ، وذاكرة الكوكب ..

أبي يا أبي .. إن تاريخ طيبٍ
وراءك يمشي ، فلا تعتب ..
على اسمك نمضي ، فمن طيبٍ
شهي المجاني ، إلى أطيّبٍ
حملتك في صحو عيني .. حتى
تهياً للناس أني أبي ..
أشيلك حتى بنبرة صوتي
فكيف ذهبت .. ولا زلت أبي ؟

إذا فلة الدار أعطت لدينا
ففي البيت ألف فم مذهب
فتحنا لتموز أبوانا
ففي الصيف لا بد يأتي أبي ..

لو كنت في مدريد ..

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا سهرنا وحدنا
في حانة صغيرة
ليس بها سوانا
تبحث في ظلامها عن بعضها يدانا ..
كنا شربنا الخمر في اوعية الخشب
كنا اخترعنا - ربما - جزيرة
أحجارها من الذهب
أشجارها من الذهب
تتوقين فيها اميرة ..
لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا راينا كيف في اسبانيا ..
أيتها الصديقة الاثيرة
تشتعل الحرائق الكبيرة
في الاعين الكبيرة
كيف تنام الوردة الحمراء في الضفيرة
كنا عرفنا لذة الضياع في الشوارع
وجوهنا تحت المطر ..

ثيابنا تحت المطر
كنا رأينا في مغارات الغجر
كيف يكون الهمس بالأصابع
والبوح ، والعتاب ، بالأصابع
وكيف للحب هنا ..
طعم البهار اللاذع ..

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ذهبنا آخر الليل للكنيسة
كنا حملنا شمعنا .. وزيتنا
بيد السلام والمحبة
كنا شكونا حزننا اليه .
كنا ارحنا رأسنا لديه
لعله في السنة الجديدة
ايتها الحبيبة البعيدة
يجمعني اليك بعد غربة
في منزل ، جدرانه محبة
وخبزه محبة ..

لو كنت في مدريد في رأس السنة
كنا ملأنا المدخنة
عرائسا ملونة ..
لطفلة دافئة العيون
نعيش يا حبيبي بوهما ..
من قبل ان تكون ..
نبحت يا حبيبتي عن اسمها
من قبل ان تكون ..
كنا صنعنا تختها الصغير من ظنون
تختنا من الاحلام .. والقطيفة الملونة
تنام فيها – ربما – بعد سنة ..
لو كنت في مدريد في رأس السنة .

غريانة

في مدخل (الحمراء) .. كان لقاؤنا
ما أطيّب اللقيا بلا ميعاد
عينان سوداوان .. في جحريهما
تتوالد الأبعاد من أبعاد ..
هل أنت إسبانية ؟ ساءلتها
قالت : وفي غرناطة ميلادي
غرناطة ! وصحت قرون سبعة
في تينك العينين .. بعد رقاد
وأمية راياتها مرفوعة
وجيادها موصولة بجياد
ما أغرب التاريخ .. كيف أعادني
لحفيدة سمراء .. من أحفادي
وجه دمشقي ، رأيت خلاله
أجفان بلقيس ، وجيد سعاد
ورأيت منزلنا القديم ، وحجرة
كانت بها أُمي تمد وسادي
والياسمينه رصعت بنجومها
والبركة الذهبية الإنشاد ..
ودمشق . أين تكون ؟ قلت ترينها
في شعرك المنساب .. نهر سواد
في وجهك العربي ، في الثغر الذي
ما زال مختزناً شمس بلاد
في طيب (جنات العريف) ، ومائها
في الفل ، في الريحان ، في الكباد

سارت معي .. والشعر يلهث خلفها
كسنا بل تركت بغير حصاد ..
يتألق القرط الطويل بجيدها
مثل الشموع بليلة الميلاد ..
ومشيت مثل الطفل خلف دليلتي
وورائي التاريخ كوم رماد
الزخرفات .. أكاد أسمع نبضها
والزركشات .. على السقوف تنادي

قالت : هنا (الحمراء) .. زهو جدودنا
فاقرأ على جدرانها أمجادي
أمجادها !! ومسحت جرحاً نازفاً
ومسحت جرحاً ثانياً بفؤادي
يا ليت وارثتي الجميلة .. أدركت
أن الذين عندهم أجدادي ..

عانقت فيها عندما ودعتها
رجلاً يسمى (طارق بن زياد) ..

خبز وحشيش وقمر

عندما يُولَدُ في الشرق القمرُ
فالسُّطُوحُ البيضاءُ تغفو ..
تحت أكداس الزَّهرِ
يتركُّ الناسُ الحوانيتَ .. ويمضونَ زُمرُ
لملاقاة القمرِ ..
يحملونَ الخبزَ ، والحاكي ، إلى رأس الجبالِ
ومعدَّاتِ الخدرِ ..
ويبيعونَ ، ويشرونَ .. خيالَ
وصُورٍ ..
ويموتونَ إذا عاشَ القمرُ ..

٢

ما الذي يفعله قرصُ ضياءٍ ؟
ببلادي ..
ببلادِ الأنبياءِ ..
وببلادِ البسطاءِ ..
ماضغي التبغِ ، وتجارِ الخدرِ
ما الذي يفعله فينا القمرُ ؟
فنضيغُ الكبرياءِ
ونعيشُ لنستجدي السماءَ
ما الذي عندَ السماءِ ؟
لُكسالى ضعفاءُ
يستحيلونَ إلى موتى ..

إذا عاشَ القمرُ ..
ويهزّونَ قبورَ الأولياءِ
علّها ..
ترزفهم رزاً وأطفالاً ..
قبورُ الأولياءِ ..
ويمدّونَ السجاجيدَ الأنثىقاتِ الطُررُ
يتسلّونَ بأفيون ..
نسمّيه قدرُ ..
وقضاء ..
في بلادي ..
في بلادِ البسطاءِ ..

٣

أيُّ ضعفٍ وانحلالٍ ؟
يتولّانا إذا الضوءُ تدفّقُ
فالسجاجيدُ ، وآلافُ السلالِ
وقداحُ الشاي .. والأطفال .. تحتلُّ التلالُ
في بلادي ..
حيثُ يبكي السانجونُ
ويعيشونَ على الضوء الذي لا يبصرونُ
في بلادي ..
حيثُ يحيا الناسُ من دون عيون
حيثُ يبكي السانجونُ
ويصلّونَ ، ويزنونَ ، ويحيونَ اّكالُ
منذُ أن كانوا .. يعيشونَ اّكالُ
وينادونَ الهلالُ :
" يا هلالُ ..
أيها النبعُ الذي يمطرُ ماسُ
وحشيشاً .. ونُعاسُ
أيها الربُّ الرخاميُّ المعلقُ
أيها الشيءُ الذي ليسَ يُصدّقُ
دُمتَ للشرقِ .. لنا ..
عنقودَ ماسُ
للملايين التي قد عُطّلت فيها الحواس " .

في ليالي الشرق .. لمّا
 يبلغُ البدرُ تمامه ..
 يتعرّى الشرقُ من كلّ كرامه
 ونضال ..
 فالملايينُ التي تركضُ من غير نعال ..
 والتي تؤمنُ في أربع زوجاتٍ ..
 وفي يوم القيامة ..
 الملايينُ التي لا تلتقي بالخبر .. إلا في الخيال
 والتي تسكنُ في الليل بيوتاً من سعال ..
 أبداً .. ما عرفتُ شكلَ الدواء ..
 تتردّي ..
 جثثاً تحت الضياء ..

في بلادي ..
 حيثُ يبكي الساجونُ
 ويموتونَ بكاءً
 كلّما طالعهم وجهُ الهلال
 ويزيدونَ بكاءً
 كلّما حرّكهم عودٌ ذليلٌ .. و " ليالي " ..
 ذلك الموتُ الذي ندعوه في الشرق ..
 " ليالي " .. وغناءً
 في بلادي ..
 في بلاد البُسطاء ..

حيثُ نجترُ التواشيحَ الطويلة ..
 ذلك السلُّ الذي يفتكُ بالشرق ..
 التواشيحُ الطويلة
 شرفنا المجترُّ .. تاريخاً .. وأحلاماً كسولة
 وخرافاتٍ خوالي ..
 شرفنا ، الباحثُ عن كلّ بطولة
 في (أبي زيد الهلالي) ..

***** النهاية *****

مع تحيات يحيى الصوفي
مؤسس ورئيس تحرير موقع
القصة السورية
Syrian Story